عرفانها العقائد والآداب الإسلامية، استعد عقلها لقبول الآراء السليمة، وطرح الخلافات والأباطيل التي تفتك الآن بعقول النساء[1].

يولي قاسم أمين عناية خاصة بتعليم المرأة وتثقيفها، ولو عدنا إلى الوراء لوجدنا أن هذه هي دعوة الإسلام الأولى، فلقد كانت الخنساء من أعلام الشعراء في زمانها، وغيرها الكثير، كما ذكرنا أثناء عرضنا لتحرير المرأة في عصر النبوة، فلا يتناقض ما ذهب إليه قاسم أمين في هذا الصدد مع مبادئ الإسلام السمحة، بل أعتقد أن انزواء المرأة عن ميدان العلم والتعليم هو سبب رئيس من أسباب تخلف الأمة بل يذهب قاسم أمين إلى أبعد من ذلك، نحو ضرورة ربط التعليم بالفضائل الخلقية أو على حد تعبيره الفضائل التي لها أثر في معاملة الأهل وحفظ نظام القرابة، والفضائل التي يظهر في نظام الأمة.

لقد كانت دعوة قاسم أمين دعوة صارخة لمحاربة الجهل والتخلف في كافة ميادين الحياة.

ولعلنا نتساءل: هل صحيح كانت دعوة قاسم أمين في كتابه «تحرير المرأة» إلى السفور والتبرج والإباحية كما يعتقد البعض.. أم دعوة إلى الالتزام بقيم الإسلام؟.

اعتقد من جانبي أن قاسم أمين في كتابه «تحرير المرأة» الذي سطره، في وقت كانت المرأة في أمس الحاجة إليه كي تأخذ حظها من التعليم والتمدن.

قاسم أمين ودعوته إلى الالتزام بالقرآن والسنة:

ويرى قاسم أمين أن الالتزام بالشريعة الإسلامية أمر لا ينبغي أن يجادل

(1) المرجع السابق، ص 42.

فيـه مجادل أو على حد قوله: أن الأوامر الإلهية يجب الإذعان إليها دون بحث أو مناقشة[1]. ثم يعرض قاسم أمين للحجاب الشرعي و يستشهد بالآيات القرآنية في سـورة النور (الآية 30 - 31)، بقولـه تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

و يعرض قاسـم أمين لمختلـف آراء الفقهاء حول الحجـاب الشرعي و يميل إلى الـرأي الراجـح عند غالبيـة العلماء وهو أن جسـد المرأة كله عـورة عدا الوجه والكفين، و يستشهد في ذلك عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فقال لها ﷺ: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه».

و ينتقد قاسم أمين وضع المرأة في زمانه فيقول: خولت الشريعة للمرأة ما للرجل من حقوق، وألقت عليها تبعة أعمالها المدنية والجنائية، فللمرأة الحق في إدارة أموالها والتصرف فيها بنفسـها، فكيف يمكن للرجل أن يتعاقد معها من غير أن يراها و يتحقق من شخصيتها؟[2].

(1) نفس المرجع، ص 80.
(2) المرجع السابق، ص 83.

ومن غريب وسائل التحقيق أن تحضر المرأة مغلقة من رأسها إلى قدميها، أو تقف من وراء ستار أو باب، ويقال للرجل ها هي ذي فلانة التي تريد أن تبيعك دارها أو تقيمك وكيلًا في زواجها مثلًا، فتقول المرأة بِعتُ أو وكلت، ويكتفي بشهادة شاهدين من الأقارب أو الأجانب علمًا بأنها هي التي باعت أو وكلت والحال أنه ليس في هذه الأعمال ضمانة لها أحد. وكثيرًا ما أظهرت الوقائع القضائية سهولة الغش والتزوير في مثل هذه الأحوال[1].

وما يهمنا ونحن نقدم رؤية جديدة وتحليلًا جديدًا لفكر قاسم أمين أن نثير التساؤلات، هل بحق أنكر قاسم أمين الحجاب بالمعنى الشرعي على المرأة المسلمة؟

لو كان قد ذهب إلى ذلك لما أتى بالحجة الدامغة والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية كما ذكرنا، - ولكن - قاسم أمين يعلن ثورته عن تراجع المرأة عن ميدان الحياة وانزوائها في غياهب الجهل والتخلف، ولسنا هنا في موقف الدفاع عن قاسم أمين أو التعاطف معه؟ ولكن نعرض لبعض أفكاره بأمانة وحسب، فقاسم أمين يعلن نفوره من النقاب الذي كانت تغطي به المرأة نفسها آنذاك، ولسنا هنا في موقف الفصل في هذه النقطة فللعلماء آراء مختلفة بصدد هذا الموضوع يمكن الرجوع إليها في مظانها لمن أراد مزيدًا. والسؤال.. هل كان قاسم أمين يدعو للتحرر بالمعنى الغربي في كتابه «تحرير المرأة»؟.

وينتقل قاسم أمين الفقيه في كتابه إلى تحليل العديد من القضايا والموضوعات مثل آداب الاستئذان، وصوت المرأة وغيرها من الموضوعات

(1) نفس المرجع ، نفس الصفحة.

حتى يخلص إلى المرأة في الشريعة الإسلامية يجب أن تقوم بدورها المناط بها وأن لا تتخلف عن كافة ميادين الحياة.

الموقف النقدي من فكر قاسم أمين:

ولكن يبدو أن قاسم أمين قد تأثر بالحضارة الغربية وأثرت في فكره إلى حد غير قليل فنجده في بعض المواضع ينتصر للفكر الغربي على حساب المرجعية الإسلامية وخصوصًا في قضية اختلاط الرجال بالنساء ويرى أن المرأة التي تخالط الرجال أكثر قدرة وعفة من التي لا تخالطهم، وإن كنا ننتقد قاسم أمين فيما ذهب إليه في هذا الصدد، إذ إن بيت القصيد يعود إلى التربية الإسلامية الصحيحة للمرأة، فالمرأة المسلمة حقيقة هي التي تغض بصرها وتحفظ فرجها، فإما أن يكون مدار الأمر أن الاختلاط يقوي المرأة فهذا ما لا يحبذه الإسلام، بل إن الإسلام يرى أن التزام المرأة بخلقها ومظهرها ومخبرها هو المقياس في التزامها. ولعل قاسم أمين - فيما نعتقد - لم يكن موفقًا في معالجة هذه النقطة.

وأحب أن أنقل ما ذهب إليه: « وهذا مما يحمل على الاعتقاد بأن المرأة التي تخالط الرجال تكون أبعد عن الأفكار السيئة من المرأة المحجبة. والسبب في ذلك أن الأولى تعودت رؤية الرجال وسماع كلامهم. فإن رأت رجلا أيًّا كان لم يحرك منظره منها شيئًا من الشهوة، بل لو عُرض عليها شيء من هذا فإنما يكون بعد مصاحبة طويلة وقضاء أوقات في خلوات كثيرة يحدث فيها ما قد يشعر كل واحد منهما بالتجاذب إلى الآخر، وهذا هو ما منعته الشريعة، أما الثانية فمجرد وقوع نظرها على الرجل يحدث في نفسها خاطر اختلاف الصنف من غير شعور ولا تعمد ولا نية سيئة وإنما هو أثر